



من رسائل القديس صفرونيوس القصيرة

الذبيحة العقلية

من رسائل القديس

الأب صفرونيوس القصيرة

من صفرونيوس إلى الأخوة في دير المتدئين.

١- الذين يسلّمون على بعضهم البعض باسم الرب يسوع، لا يجب أن يحملوا في قلوبهم إلا "وداعة المسيح وصبره". أما الذين يعتبرون أن التحية هي مجرد عادة، فهؤلاء لا موضع لهم في الكنيسة الجامعة؛ لأننا لسنا مثل الأمم، نقول "سلام"، بل "سلام في الرب" كما علّمنا الآباء الرسل، أن السلام شركة.

٢- الذين يهتمون بنظافة الجسد، إنما يهتمون بما هو زائل، ولم يعلمنا ربنا يسوع المسيح أن الاغتسال بالماء يقدّس الإنسان، وإنما طهارة النية الداخلية التي يعطيها الروح القدس للذين يسألونه بأمانة وينتظرون عمله.

٣- الجدل حول طهارة الجسد، لا ينفع أحداً، ولا يزيد الاغتسال بالماء عمل الروح القدس فينا، وإنما قد ينتفع الإنسان من النظافة، لكنها أمام الله ليست شيئاً، فهو لم يرسل لنا المياه لكي نغتسل بها، وإنما أرسل لنا ابنه الوحيد لكي يُطهّر طبيعتنا من الفساد الداخلي، ويخلقنا على صورته ومثاله في قداسة البر والحق.

٤- الذين اعتمدوا باسم الآب والابن والروح القدس وصاروا هياكل حية للروح القدس، هؤلاء يلتزمون بشريعة الحياة الجديدة في المسيح، ويطلبون الحياة الآتية، والقيامة من الأموات، ويفهمون إن الاغتسال الحقيقي هو نقاء السريرة والابتعاد عن دنس الكراهية وقذارة الكبرياء. وبسبب النقاوة التي فيهم، يفزعون من هذه الشرور

لأنها تفسد عمل الله وتجعلهم "آنية غضب". هؤلاء لا يعينهم قذارة الجسد، بل قذارة القلب وفساده، ولأنهم يرفعون عيونهم إلى فوق، يدركون أن سكنى اللاهوت فيهم هو القداسة الحقيقية؛ لأن الذي يسكنه الله، يصبح هيكلًا مقدسًا للرب كما قال الرسول: "أنتم هياكل الله وروح الله يسكن فيكم". أمّا الذين لا يسكن فيهم الله، فهؤلاء يطلبون اغتسال الماء بنشاط وبغيره؛ لأن شمس الحياة المسيح يسوع لم تدركهم، ولذلك لا زالوا في ظلام الناموس ولم يعاينوا بعد الحياة الجديدة.

٥- لقد قال الرب: "من القلب تخرج الأفكار الشريرة"، وما يهمنا هو أن لا يكون القلب مكانًا للقذارة والأوبئة وقبرًا يقبع فيه الشيطان، أي الموت. أمّا الجسد فهو ليس دينيًا ولا هو نجس؛ لأن الذين نادوا بهذه الآراء قد أفرزتهم الكنيسة من شركتها. وحاشا لنا -نحن الذين نؤمن بنعمة ربنا يسوع المسيح- الذي افتقر وهو الغني"، أي جاء وسكن في الطبيعة الإنسانية لكي يعطيها ما تحتاجه من خيرات حياته الإلهية- أن نؤمن بنفس تعاليم المراطقة الذين يحتقرون خليفة الله.

٦- يا ليت الذين يهتمون بنظافة الجسد يدركون الفرق بين الجسد النظيف الذي اغتسل بالماء، والجسد المقدس الذي اغتسل بعرق الاتعاب والسجود، وصار نقيًا لأنه قدّم "ذبيحة عقلية"، ليست مثل ذبائح الناموس العديمة الحياة، وإنما ذبيحة حيّة بالأعمال الصالحة التي يهبها الروح القدس للنفس والجسد.

٧- الذين يتعبون في العمل اليدوي، هؤلاء يصبح جسدهم نظيفاً من الداخل، حتى من الحركات الطبيعية؛ لأن قوته قد قدّمت للأخوة، وليس للشهوة الرديئة والفساد. أمّا الذين يعيشون حياة الكسل والتراخي، فأجسادهم نجسة؛ لأن الكسل يقوي قتال الشهوة، وحركات الجسد الطبيعية تنمو وتصبح قوة تحرك النفس للتخلي عن الوصية الأولى، وهي: "من أراد أن يكون لي تلميذاً فليحمل صليبه ويتبعني". والذين أهملوا هذه الوصية، لا تستطيع المياه أن تقودهم إلى الحياة الجديدة، وإنما التوبة ونقاء الفكر بالعمل الشاق النابع من محبة الأخوة والاشترك في احتياجاتهم.

٨- طوبى للذين يغتسلون بكلمة الله، لأنها ينبوع حياة أبدية تنقي الفكر وتطهر القلب وتقطع الهوى، فهي "سيفٌ ذو حدّين"، يصل إلى الأعماق الخفية التي لا يراها العقل، ويحكم على نية الإنسان إن كانت مضادة لله. أمّا الذين يهتمون بالماء الأرضي ويغسلون أجسادهم فيه، فهم مثل الملابس التي يلبسونها تناولها القذارة من الاستعمال، وتظل تحتاج إلى نظافةٍ مستمرة. أما الروح في الداخل، فمتى اغتسلت دامت اغتسالها وزاد بهاؤها الداخلي، ولا تتسخ من أعمال المحبة أو خدمة الأخوة، بل تظل طاهرةً وتطهر في كل ما تعمله وتلمع ببهاء المحبة الفائقة؛ حتى أن الملائكة تطلب من الله أن ترعى هذه النفس وتحرسها.

٩- الذين يعيشون حسب الحرف، يهتمون بالأمر الظاهرة، وهؤلاء لا يثبتون في وصايا الرب المحيية، بل تصير الوصية النافعة مصدر ارتباك وقلق؛ لأنهم ينظرون الروحيات بعيون لم تستتر، بل عاشت في ظلام الحرف، فإن أشرق عليها نور الحياة الجديدة، ارتبكت مثل الحشرات التي تحب الظلمة ولا تقوى على أن تعيش في نور الحياة. هؤلاء إن سقطوا اغتسلوا بالماء، كأن الماء سوف يخلق فيهم إرادة جديدة ويطهرهم من الخفيات التي يزرعها الشرير. أمّا نحن، فنعلم إن الربّ صالحٌ، يطلب طهارة القلب بالتوبة، لأن الذي سيرث ملكوت الله، ليس هذا الجسد الفاسد، ولا الملابس التي لا تقوى على البقاء، وإنما ما يزرعه الربُّ فينا من حياةٍ جديدةٍ صالحةٍ، وبقوة القيامة من الأموات، ندخل إلى ملكوته السماوي. وقد قال الرسول للذين أنكروا قيامة الجسد والذين يسلكون حسب الحرف: "لا تضلوا إن لحمًا ودمًا لا يرثان ملكوت الله ولا يرث الفاسد عدم فساد"، فإن قال ذلك عن الجسد ودعانا إلى أن نسعى إلى تقديمه ذبيحة حية حتى يقوم من الفساد ويتحول إلى عدم فساد بواسطة القيامة وبروح يسوع المسيح الذي سيقوم هذا الجسد الفاسد، فلماذا نجادل في طهارته.

١٠- لنكف عن هذه الأمور الأرضية حتى لا نشيخ وتهرم أجسادنا، ونحن لم ندرك قوة الملكوت؛ لأن سنوات العمر مثل الأبر، يجب أن توقظ قلوبنا كل يوم مؤكدةً لنا إننا ما دمنا في الجسد "فنحن غرباء عن الرب"، وغرباء لأننا لا نزال نلبس

الفاقد منتظرين قوة ربنا يسوع المسيح التي وُهبتْ لنا في المعمودية المقدسة لكي تثمر ثمرة القيامة للحياة الأبدية.

لنستيقظ ونعمل عمل الرب بكل قوة قبل أن تأتينا الشيوخوخة أو يداهنا الموت ونحن غير مستعدين له.

١١- الربُّ الكثير المراحم، عندما شاء أن يهبنا ميراثه، أي الحياة الأبدية، لم يقبل أن يعطينا هذه النعمة بواسطة المخلوقات التي تفتقر إلى غنى الصلاح وقوة المحبة، وإنما أعطانا هذه النعمة بنزول ابنه الوحيد وتجسده وصبره على الموت. وعندما احتمال كل هذا، "صنع تطهير لخطايانا" بواسطة آلامه المحيية. فكيف نزن نحن الذين تطهرنا بواسطة آلامه وقيامته أننا ننجو من دنس الخطية باغتسال الماء؟

١٢- الذين يسلكون حسب شريعة المحبة، يعلمون أن المحبة وحدها هي أساس السكنى مع الله، وهي ملح الشركة مع البشر. فكيف ننجو إن أهملنا المحبة وصارت ضمائرنا تحثنا على ممارسات عديمة الحياة مثل "الطعام والشراب" الذي "لا يقدمنا إلى الله"؟

١٣- صلوا عني؛ لأننا بالصلاة، نبلغ إلى طهارة القلب المقبولة من الله. والصلاة التي تغسلنا بدموع التوبة هي الاغتسال الحقيقي الوحيد الذي يطلبه الرب. فإن كانت الصلاة تطهّر نيتنا الداخلية، وتجعلنا أطهاراً بسبب حضورنا أمام "عرش الديان"، أفلا نستحق لوماً كثيراً من الله ومن الناس إن اعتمدنا على الماء العديم الحياة ظانين أنه يعطي الحياة التي تؤهلنا للحضور أمام الرب كل حين، وهو ما يجتم علينا أن نعيش في الأنهار مثل الأسماك ونرفض الحياة العقلية الفائقة التي فيها طهارتنا الدائمة بالروح القدس؟

١٤- الأتعاب لأجل الرب هي الطريق الوحيد للاغتسال الفائق، وخدمة الأحوة والعمل اليدوي الشاق، هو سلام النفس من أتربة النجاسة. أمّا المتكلمون على

الممارسات الخارجية، فهم مثل عشب الحقل، لا يطرح ثمرًا، بل يكون مآله المحريق.

ليحفظ الربُّ الذين يسلكون حسب شريعة ربنا يسوع. أمَّا الذين قد رفضوه، فهؤلاء مآلهم إلى حيث يتبدد الماء ويتحول إلى بخار، وهذا ما قيل عن الأشرار الذين اهتموا بأجسادهم وتركوا أرواحهم في يد العدو المهلك.

صَلُّوا عني؛ لأن الصلاة طهارة القلب والجسد.

+ + +